النظم والتحصينات العسكرية بمنطقة الأوراس
(القرن VIII–XII م)

الدكتور/ محمد لخضر عولمي
قسم التاريخ و الآثار
جامعة 8 ماي 1945 – قالمة –

الملخص:

بعد الفتح الإسلامي، أصبحت منطقة الأوراس من اقاليم إفريقية وارتبط مصيرها بمصير هذه الأخيرة، و كان لذلك تاثير واضحا على النظام الدفاعي للمنطقة. إذا كانت جبال مصدر خطر دائم في العصر القديم للوجود الروماني ثم البيزنطي، الذين حاصروها بسلسة من التحصينات من الشمال، و الغرب و الجنول، فإنه في العصر الإسلامي وبشكل خاص خلال القرون الأربعة الأولى، فإن مصدر التهديد لم يعد مصدره جبال الأوراس أو المناطق الصحراوية وإنما المغرب الأوسط الذي أصبح مركز لثورات الخوارج وقبائل زناتة الناقمة على النظام القائم في القيروان سواء في عهد الولاة أو في عهد الأغالبة، لذلك نلاحظ اندثار اغلب المراكز المحصنة القديمة على السفوح الشمالية للأوراس ماعدا مدينة بغاي وقساس. وعرفت التحصينات الواقعة جنوب الأوراس نفس المصير تقريبا. بينما نلاحظ ازدهار المواقع المحصنة على الجهة الغربية للأوراس والتي تشكل الحدود الغربية لأفريقية وبشكل خاص مدينة طبنة، نيقاوس وقصر بلزمة. استمر هذا الوضع إلى غاية قيام دولة الفاطميين ثم الزيريين حيث بدأت هذه المدن المحصنة بفقدان أهميتها خاصة بعد تشييد مدينة المسيلة وأشير ثم مدينة القلعة لاحقا. غير ان الضربة القاضية التي عرفتها مختلف مدن الأوراس،

كان توغل قبائل بنو هلال في المنطقة بداية من الصف الثاني من القرن الثاني عشر، وانحصار نفوذ الزيريين والحماديين نحو السواحل، وتركت هذه المدن لمصيرها وتحت رحمة القبائل العربية لتختفي من التاريخ نهائيا.

اما من حيث التحصينات والعمارة العسكرية وتقنيات البناء، فإننا لا نعرف شيئا عنها، لأن الأبحاث الميدانية والحفريات التي تمت بالمواقع المشار إليه، فهي قليلة ومحدودة و لم تمس سوى نسبة ضئيلة من مساحة تلك المواقع، كما ان تلك الأبحاث ركزت على العمارة العسكرية البيزنطية باعتبار ان تلك المواقع هي مواقع رومانية ثم بيزنطية استقر بها المسلمون بعد الفتح الإسلامي. وإذا ما أردنا توضيح أمر العمارة العسكرية الإسلامية المبكرة بشكل عام، وبهذه المنطقة بشكل خاص، يجب علينا القيام بأعمال بحث وتحري وتنقيبات جديدة في هذه المواقع بدون افكار مسبقة للوصول إلى نتائج موضوعية حول العمارة الإسلامية المبكرة ومدى تأثرها بالعمارة البيزنطية وما يميزها عن هذه الأخيرة.

تمهيد:

شكلت منطقة الأوراس أهم عقبة في وجه الفتح الإسلامي بشمال إفريقيا بفضل مقاومة اهاليها من البربر تحت قيادة زعيمهم كُسيلة ثم الكاهنة، وبمقتل هذه الأخيرة على يد حسان ابن النعمان سنة 82ه/701م، أصبح الطريق مفتوحا أمام الجيوش الأموية نحو المغربين الأوسط و الأقصى. وبانتهاء عمليات الفتح على يد حسان ابن النعمان، أصبح شمال إفريقيا ولاية إسلامية في عهد الخليفة الأموي الوليد الذي عيَّن موسى بن نصير واليا عليها سنة 86ه/705م، ومنذ ذلك التاريخ ارتبط مصير منطقة الأوراس بإفريقية وكان للأحداث التي شهدتها هذه الأخيرة تداعيات مباشرة على منطقة الأوراس وبشكل خاص على التحصينات العسكرية والنظام الدفاعي الذي كان قائما في المنطقة قبل الفتح الإسلامي.

I . المدلول الجغرافي لتسمية الأوراس

تتفق جميع المراجع في اطلاق تسمية **أوراس** من حيث المدلول والمفهوم الجغرافي للعبارة على الكتلة الجبلية المحصورة بين باتنة وخنشلة شمالا، وخنقة سيدي ناجي وبسكرة جنوبا، وخنشلة وخنقة سيدي ناجي شرقا، وباتنة وبسكرة غربا، بحيث تأخذ شكل رباعي الأضلاع يبلغ طول محيطه 480 كم[1]. وهي من الناحية التضاريسية امتدادا لجبال الأطلس الكبير (المغرب) و نقطة التقاء جبال الأطلس الصحراوي (الجزائر) مع سلسلة جبال الظهرة (تونس) وبها أعلى قمة جبلية بشمال الجزائر وهي قمة كلثوم بجبل شيليا (2328 م).[2]غير ان هذه التسمية يكتنفها بعض الغموض وتطرح اشكالا حول مدلولها بالضبط.

إن تسمية **أوراس** هي تسمية أصلا يطلقها سكان المنطقة على احد الجبال الواقعة جنوب مدينة خنشلة والمعروف عندهم بجبل **أوراس** وليس على الحيز الجغرافي المحدد سالفا. كما تطلق هذه التسمية للدلالة على المنطقة الجغرافية المحيطة بالجبل المعرف بهذا الاسم، بحيث تستعمل للتعبير على كامل منطقة الكتلة الجبلية الأوراسية والتي تتعدى حدودها الجغرافية الحدود المرسومة لها من خلال المفهوم الأول، ثم امتدت هذه التسمية بعد ذلك وتجاوزت نطاقها الجغرافي الأصلي لتشمل كل المنطقة الجبلية المحيطة بالجبل المعروف عند أهل المنطقة منذ القدم بهذا الاسم (أوراس).[3]

---

1 P. Morisot, « l'Aurès dans l'antiquité » Encyclopédie Berbère, t. 8, p. 1103.

2 J. L. Ballais, « l'Aurès », Encyclopédie Berbère, t. 7, p. 106.

3 S. Chaker, « Etymologie de AWRAS » Encyclopédie Berbère, t. 8, p. 1167.

إن الكتلة الأوراسية من الناحية التضاريسية والمورفولوجية لا تنتهي عند حدود الحيز الجغرافي المذكور، فهي تمتد شرقا عبر جبال النمامشة إلى الداخل التراب التونسي، واعطت قبيلة النمماشة اسمها للقطاع الشرقي للكتلة الأوراسية، فأصبحت تعرف **بأوراس النمماشة** والتي تعد امتدادا طبيعيا (جيولوجيا ومورفولوجيا) للكتلة الجبلية الأولى، بحيث لا يفصلها عنها سوى واد العرب الذي يشق الجبال الأوراسية من الشمال إلى الجنوب. كما تمتد الكتلة الأوراسية غربا إلى غاية التقائها مع سلسلة جبال الأطلس التلي عبر الكتلة الجبلية المعروفة بكتلة بلزمة والتي لا يفصلها عن الكتلة الجبلية الأولى سوى منخفض سهل باتنة وعين التوتة، واعطت اسمها لهذا الحيز الجغرافي أي **أوراس بلزمة**.[1]

يتضح مما سبق ان المفهوم الجغرافي المعروف لدى الجميع فيما يخص تسمية **أوراس** ومدلولها يتسم بالقصور وعدم الشمولية والتدقيق، لذا فمن المستحسن استعمال عبارة الكتلة الأوراسية للدلالة جغرافيا على كامل منطقة جبال الأوراس بمفهوم كامل وشامل يأخذ بعين الاعتبار كل امداداتها الطبيعية ومغايرا للمفهوم الأول الذي لا ينطبق ولا يتناسب جغرافيا سوى مع المنطقة الوسطى للكتلة الأوراسية، وعلى هذا الأساس فإن تسمية الكتلة الأوراسية (**جبل أوراس**) تتضمن بالإضافة إلى الكتلة الأوراسية الوسطى، كل من الكتلة الأوراسية الشرقية (**أوراس النمماشة**) و الكتلة الأوراسية الغربية (**أوراس بلزمة**).

II . النظام الدفاعي بالأوراس غداة الفتح الاسلامي

كانت منطقة الأوراس خلال الفترة القديمة تشكل الحدود الجنوبية لمقاطعة نوميديا، كما كانت على مر العصور مصدر تهديد دائم لسهول نوميديا

1 J. L. Balais, op.cit, pp. 1067-1068.

الخصبة المتاخمة للسفوح الشمالية لجبال الأوراس، حيث تمكن أهاليها في عدة مناسبات من غزوها وتدمير مدنها. ولتفادي هذا الخطر عمل البيزنطيون بعدما ما تمكنوا من هزم الملك إيابداس من إقامة سلسة من التحصينات العسكرية تتبع خط الليمس الروماني القديم لمحاصرة الأوراس من الجهات الشمالية، الغربية و الجنوبية.

من الجهة الشمالية، أقيمت تلك التحصينات على السفح الشمالي لجبال الأوراس على الطريق الذي كان يربط مدينة تبسة بمدينة لمباز، مرورا بخنشلة وبغاي وتيمقاد. أولى حلقات هذه الخط الدفاعي، كان مدينة تبسة المحصنة الواقعة غرب الأوراس على الحدود بين مقاطعتي بيزاكينا ونوميديا. وتحتل هذه مدينة المحصنة مكان استراتيجي، فهي ملتقى العديد من الطرق المهمة التي تربط بين هاتين المقاطعتين وبين اقاليم مقاطعة نوميديا، كما تعد نقطة مهمة لسد الطريق في وجه الغزاة القادمين من داخل جبال الأوراس أو من الصحراء عبر الممرات الجبلية. تدعمها في ذلك مجموعة من الحصون المتقدمة التي تحرس مختلف الممرات الجبلية التي تفتح على السهول الشمالية للأوراس.[1] إلى الغرب من تبسة، نجد مدينة ماسكولة وعلى بعد 12 كم إلى الشمال منها مدينة بغاي التي اصبحت نقطة أساسية في السياسة الدفاعية لهذه المنطقة من نوميديا.[2] فهي تقع فوق هضبة تشرف على السهول القريبة منها نحو الشمال

1 Ch. Diehl, l'Afrique byzantine, pp. 238- 239.

2 W. Ragot, « Le Sahara de la province de Constantine », R.S.A.C, t.16, 1873-1874, p.215.

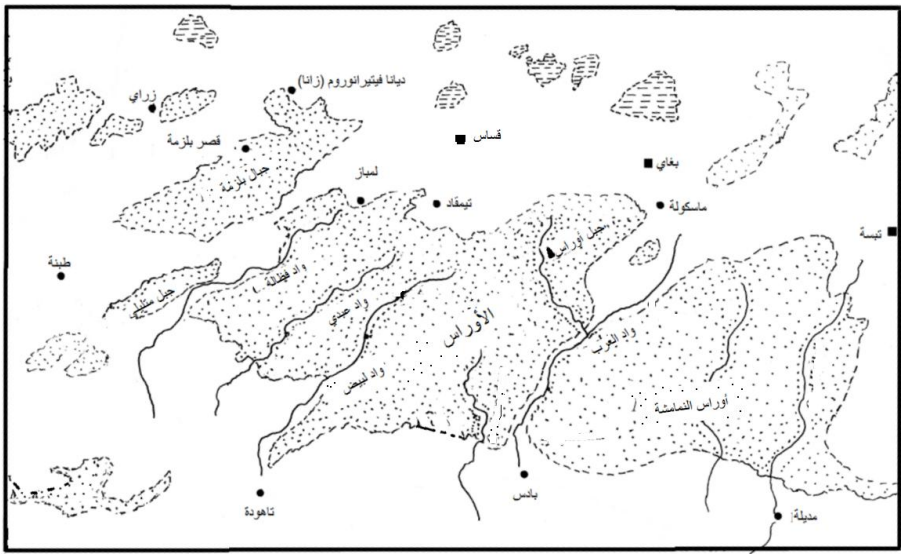

مخطط رقم 01 : أهم التحصينات البيزنطية حول جبال الأوراس (عن إ. موديرون، بتصرف)

إلى غاية عين البيضاء وغربا إلى غاية تيمقاد، كما انها تتحكم في الممرات الجبلية وبشكل خاص ممر واد العرب الذي يعتبر المنفذ الرئيسي لسهول نوميديا للغزاة القادمين من جبال الأوراس ومن الصحراء. على مستوى الطريق الرابط بين ماسكولة و تيمقاد حيث لا توجد ممرات جبلية مهمة يمكن للعدو ان يتسلل عبرها، اكتفى البيزنطيون ببناء حصون صغيرة للمراقبة قرب نقاط المياه عادة.[1] على أنقاض مدينة تيمقاد الرومانية شيَّد البيزنطيون قلعة عظيمة لمراقبة واحد من أهم الممرات الجبلية المؤدية الى سهول نوميديا عبر ممر فم قسنطينة الذي تلتقي عنده الطرق القادمة من واد عبدي و وادي لبيض. و هو في نفس الوقت ممر للغزاة القادمين من جبال الأوراس او الصحراء ونقطة ارتكاز للقوات البيزنطية

1St. Gsell et H. Graillot, Explorations archéologiques dans le département de Constantine (Mélanges de l'école de Rome, 1893 et 1894) pp. 17-18.

للتوغل بداخل الأوراس.[1] إلى الشمال على الطريق الرابط بين مدينة تيمقاد و سيرتا، شيدوا مدينة هنشير قساس المحصنة والتي لعبت دور عسكري مهم في مراقبة الطريق المؤدي من تيمقاد إلى سيرتا، فموقعها بين جبل بوعريف وجبل سفان، يجعلها تتحكم في فجوة واد شمرة الذي يعبرها الطريق السالف الذكر.[2] وأخيرا إلى الغرب من مدينة تيمقاد وعلى أنقاض مدينة لمباز التي كانت لسنين عديدة مقر الفيلق الروماني الثالث، حصن مهم لمراقبة الطريق الذي يربط سهل باتنة وعين التوتة بالصحراء عبر مضيق القنطرة.

وضمن استراتيجية البيزنطيين لحصار الأوراس، قاموا بتشييد على حدوده الغربية سلسلة من المراكز العسكرية لتطويق هذه المناطق الحدودية مع مقاطعة موريطانيا السطايفية ومراقبة نقاط العبور من الجنوب الغربي لنوميديا ومنها الوصول على منطقة الحضنة. وعليه أسندت مهام المراقبة وتأمين المسالك التي تجوب هذه الأرجاء الواسعة إلى العديد من النقاط الدفاعية اهمها قصر بلزمة الذي يشرف على سهل بلزمة، وهو بمثابة النقطة الأساسية في التخطيط الدفاعي لهذه المنطقة، إذ يربط من جهة بين جملة من القلاع، ومن جهة أخرى تلتقي عنده العديد من الطرق القادمة من كلتا الجهتين الشرقية والغربية.[3] و كانت مدينة طبنة تعد الحد الفاصل بين نوميديا في جهتها الجنوبية الغربية وموريطانيا السطايفية، تحتل موقعا استراتيجيا يؤهلها للسيطرة على المنافذ المؤدية إلى كل الاتجاهات. فهي تتموقع بين واد بريكة وواد بيطام، وتشرف من الجهة الغربية

1 R. Cagnat, l'Armée romaine, p. 582, E. Masqueray, De Aurasio monte, pp. 23-24.

2 St. Gsell, H. Graillot, « Explorations archéologiques dans le département de Constantine », M.E.F.R, t. XIV, 1894, p. 474.

3 Ch. Diehl, « Rapport sur deux missions dans l'Afrique du Nord (avril-juin 1892 et mars-mai 1893) », Nouv Arch des miss, 4, 1893, p. 21.

على كل المنطقة الشرقية للحضنة، فشط الحضنة كان يعد حد طبيعي يلزم كل القادمين من الجهة الجنوبية المرور على هذا المركز الحدودي الهام.[1]

عززت الواجهة الجنوبية لنوميديا بخط دفاعي يكمل الخطوط الأخرى التي تلتف حول جبال الأوراس، كما تثبت ذلك المعطيات الأثرية[2]. وترسم هذه الحدود بواسطة الطريق الرابط بين قفصة بمقاطعة بيزاكينا والمراكز العسكرية المتسلسلة من تامرزة وهنشير بسرياني وبادس وتهودة، وكانت تستقر بهذه الأخيرة قوات الحدود والقوات الحليفة وتدعم إن اقتضت الضرورة بالجيش الرديف المعسكر سواء بتيمقاد أو ببغاي.[3] ويستمر هذا الخط الدفاعي نحو بسكرة، معتمدا على بعض مراكز الليمس الروماني والموجود بجوار واد جذي. فقد أشير في بداية القرن العشرين إلى منشآت عسكرية بيزنطية في كل من سيدي فلاوش و طولقة و الدوسن.[4] وهذا ما يوسع حدود الوجود البيزنطي في جنوب مقاطعة نوميديا، و لم تأخذ بعين الاعتبار هذه المعالم في الأبحاث التي تعلقت بالعمارة البيزنطية بالمغرب القديم.[5]

---

1 P. Blanchet, « Excursion archéologique dans le Hodna et le Sahara » R.S.A.C, 1899, pp.288-289.

2 P. Morizot, « A propos des limites méridionales de la Numidie byzantine » Ant. Afr, t. 35, 1999, pp. 151-167.

3 D. Pringle, The defence of Byzantine Africa from Justinian to the Arab conquest. The account of the african provinces in the sixth and seventh centuries, Part I -II, pp. 104-107.

4 Cdt. Toussaint, « Résumé des reconnaissances archéologiques exécutées par les officiers brigades topographiques d'Algérie et de Tunisie pendant la compagne 1903-1904 » B.A.C, 1905, pp.56-60.

سليم دريسي، البيزنطيون في شمال إفريقيا : الاحتلال و العمارة الدفاعية، رسالة 2008 ، ص.227.

5دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر،

يتضح من خلال هذا العرض، أن سلسة جبال الأوراس بكاملها أحيطت بمنشآت عسكرية، كان الغرض منها مراقبة أهالي هذه الجبال أو القبائل القاطنة بالصحراء جنوب الأوراس من التسلل عبر الممرات الجبلية التي تخترقه انطلاقا من الجنوب نحو الشمال، ومنعهم من الإغارة على سهول نوميديا الغنية التي تمكنوا في عدة مناسبات من التوغل بها ونهبها وتدمير مدنها. يبقى لنا معرفة مدى تأثر هذا النظام العسكري تبعا للمتغييرات السياسية والاستراتيجية بدخول هذه المنطقة تحت سيادة العرب المسلمين والكيانات السياسية التي بسطت سيادتها على المنطقة منذ الفتح الإسلامي إلى غاية منتصف القرن الثاني عشر الميلادي.

III . الأوراس خلال العهد الإسلامي

بانتهاء عمليات الفتح على يد حسان ابن النعمان،[1] أصبحت شمال إفريقيا ولاية إسلامية في عهد الخليفة الأموي الوليد الذي عين موسى بن نصير واليا عليها سنة 86هـ/705م،[2] ومدينة القيروان العاصمة الإدارية و الدينية لهذه الولاية.

تميز عصر الولاة بانتشار المذهب الخارجي بشكل واسع بين البربر، خاصة بالمغرب الأقصى وجبل نفوسة وطرابلس، وقيام عدة ثورات اتخذت طابعا قبائليا ومذهبيا، كان أخطرها ثورات الخوارج الصفرية ضد سلطة الخلافة الأموية ثم العباسية.[3] كان لهذه الأحداث انعكاسات مباشرة على منطقة الأوراس حيث أصبح مصدر الخطر على إفريقية، من المغربين الأقصى والأوسط أين انتشر المذهب الخارجي الصفري، وتمكن الخوارج من الاستيلاء على إفريقية واحتلال

---

1 حول هذه الفترة من تاريخ شمال إفريقيا يمكن الرجوع إلى المصادر التالية.

ابن عبد الحكم (عبد الرحمان)، فتوح إفريقية و الأندلس، ابن عذارى (ابو العباس)، البيان المغرب في اخبار الأندلس و المغرب، ، ابن خلدون (عبد الرحمان)، كتاب العبر، مج 4، 6 و 7.

2 النويري (شهاب الدين)، نهاية الآدب في فنون الآدب، مج 24، ص. 343.

3 عبد العزيز فيلالي، المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب و الأندلس، ص. 67-82.

مدينة القيروان من طرف عاصم بن جميل زعيم قبيلة ورفجومة الصفرية سنة 139 ه/756م،[1] ثم من طرف ابو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري زعيم الخوارج الإباضية الذي قام بطرد ورفجومة من القيروان ونصب عبد الرحمان بن رستم واليا عليها سنة 141ه/758، غير أن حكمهم لم يدم طويلا، حيث تمكن الجيش الذي ارسله ابو جعفر المنصور بقيادة ابن الأشعث من استرجاع إفريقية والقيروان وهزيمة الخوارج الإباضية وطردهم سنة 144هـ/764م،[2] فهروب عبد الرحمان بن رستم الى المغرب الأوسط واستقر بتاهرت[3].

كان لهذه الأحداث اثرها البالغ على منطقة الأوراس، وبشكل خاص على النظام الدفاعي الذي وضعه البيزنطيون في المنطقة خلال القرن السادس الميلادي لاحتواء الخطر الذي كانت تشكله قبائل الأوراس والقبائل الرحل القادمة من الصحراء، وذلك عن طريق شبكة من التحصينات التي كانت تطوق منطقة الأوراس شمالا و جنوبا.[4] حيث فقدت أهم التحصينات التي شيدها البزنطيون شمال الأوراس أهميتها على غرار **تبسة، خنشلة تيمقاد، لمباز،**[5] و **زانة،** واختفت نهائيا من التاريخ في العصر الإسلامي. وبما أن مصدر الخطر الذي أصبح يهدد إفريقية لم يعد مصدره منطقة الأوراس، و إنما القبائل زناتة الثائرة

---

1 الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية و المغرب، ص. 139، ابن عذارى، ج1، ص. 18

2 ابن عذارى، البيان المغرب، ج.1، ص. 70-71.

3 ابن خلدون، كتاب العبر، مج. 4، ص. 244-245.

4 حول النظام الدفاعي البيزنطي و مجمل التحصينات التي كان يتشكل منها، أنظر.

Ch. Diehl, L'Afrique byzantine, pp. 167-172, 226-291.

5 لم يرد ذكر مدينة لمباز إلا عند النويري و ابن خلدون في حديثهما عن حملة عقبة بن الثانية لفتح المغرب، انظر.

النويري (شهاب الدين)، نهاية الآدب في فنون الآدب، 24، ص. 14.

والخوارج من المغرب الأوسط، اكتسبت المدن المحصنة الواقعة على الحدود الغربية لجبال الأوراس و هي من الشمال إلى الجنوب : **بلزمة، نقاوس، و طبنة،** أهمية كبرى في النظام الدفاعي عن إفريقية والقيروان، أما في الجنوب فما زالت الحصون القديمة أي تاهودة وبادس تلعب دور هام في حماية الطريق الرابط بين إفريقية ومنطقة الزاب.

شهدت سنة 184 ه/800م استقلال ابراهيم ابن الأغلب بإفريقية مؤسسا إمارة بني الأغلب،[1] وأصبحت منطقة الأوراس أو الزاب، مقاطعة من مقاطعات إمارة بني الأغلب، واكتسبت مدن وحصون المنطقة أهمية عسكرية كبرى للدفاع عن الحدود الغربية للإمارة، خاصة مدينة طبنة التي أصبحت تشكل القاعدة الأساسية في النظام الدفاعي لأمارة بني الأغلب في وجه الخطر الذي كانت تمثله قبائل زناتة و أمراء تاهرت بالمغرب الأوسط، لذلك نشاهد ازدهار بعض المدن والحصون الواقعة على الطرق التي كانت تربط القيروان بمدينة طبنة عاصمة الزاب والمركز الدفاعي الأول نحو الغرب.

شهدت نهاية القرن الثالث الهجري، ظهور حركة الشيعة الفاطميين بالمغرب، وشرع عبد الله الشيعي سنة 289ه/ 902م في حملة عسكرية منظمة للقضاء على بني الأغلب، فكانت ميلة اول مدينة محصنة يحتلها،[2]ثم سطيف وبعدها جاء دور طبنة وقصر بلزمة ثم باغاية[3] وهكذا فَقَدَ بنو الأغلب أهم حلقات نظامهم

1 Cf . M. Talbi, L'Emirat aghlabide, histoire politique, Paris, 1968.

2 ابن الآثير (ابي الحسن)، الكامل في التاريخ، مج. 6، ص. 451-452.

3 ابن خلدون، كتاب العبر، مج. 4، ص. 263، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج. 6، ص. 456، ابن عذراى، البيان المغرب، مج.1، ص. 141.

الدفاعي من الجهة الغربية وأصبح طريق القيروان مفتوح أمام جيوش عبد الله الشيعي، الذي دخل رقّادة شهر رجب سنة 296ه/ 25 مارس سنة909م.[1]
مدَّ الفاطميون حدود دولتهم غربا إلى القسم الغربي من المغرب الأوسط وبذلك فقدت مدن الأوراس الواقعة بالجهة الغربية أهميتها الاستراتيجية والعسكرية، كمدينة طبنة خاصة بعد تشييد مدينة المحمدية (المسيلة) سنة 315ه/927م،[2] ثم مدينة أشير من طرف حليفهم زيري بن مناد سنة 324ه/935م و هو يكون بذلك وضع أساس لمملكة بأتم معنى الكلمة،[3] وكقاعدة متقدمة نحو الغرب لمواجهة نفوذ الخلافة الأموية السنية بالأندلس وحلفائها من قبائل زناتة بالمغربين الاوسط و الاقصى.[4]

بعد انتقال الفاطميين إلى مصر عهدوا إلى حليفهم زيري بحكم افريقية والمغرب الأوسط. اهتم بولوغين بن زيري في بداية الأمر بعاصمة ملكه أشير على الحدود الغربية لدولته واهمل مدن الزاب. غيَّر المنصور ثاني أمراء بني زيري، استراتيجية العسكرية وأولى اهتمامه للمقطعات الشرقية لدولته أي إفريقية، ونقل مركز حكمه من أشير إلى المنصورية سنة 376ه/ 987م واستعادت منطقة الزاب و مدنها أهميتها العسكرية في مواجهة خطر قبائل زناتة القادمة من الغرب مثل ثورة زيري بن عطية الذي تمكن من احتلال مدينة تيهرت و وصل

---

1 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص. 459.

2 نفسه، ص 36.

3 L. Golvin, Le Maghrib central à l'époque des Zirides, recherches d'archéologie et d'histoire, p.54.

4 أعلن عبد الرحمان الثالث أمير الأندلس، نفسه خليفة للمسلمين سنة 929م، و قام باحتلال مدينة سبتة و مليلة و تحالفت معه قبائل مغراوة زبني يفرن، أنظر.
ابن خلدون، كتاب العبر، مج. 4. 167-168.

إلى غاية مدينة أشير.[1] و بما انه أصبح من الصعب على حكام إفريقية الدفاع عن اراضي دولتهم المترامية الأطراف، عهد باديس بن زيري لعمه حمَّاد بن بولوغين الدفاع عن الحدود الغربية لأمارته.

بعد تمكن حمَّاد من السيطرة على الأوضاع في المغرب الأوسط و منطقة الزاب، تطلع إلى الاستقلال عن القيروان، فكان بناء القلعة سنة 398ه/1007م[2] بمثابة انفصال المغرب الأوسط عن إفريقية وقيام مملكة بني حمَّاد، وكان لذلك اثره على منطقة الزاب، فدخلت مدنها الواحدة بعد الأخرى تحت سيادة بني حمَّاد، وفقدت اهميتها العسكرية والاقتصادية لصالح مدينة القلعة.

اهم ما ميَّز القرن الحادي عشر، هو القطيعة السياسية والمذهبية بين أمراء بني زيري والفاطميين في عهد المعز،[3] وهو الأمر الذي كانت له عواقب خطيرة على المغرب. فقد كان رد الخليفة الفاطمي المستنصر على ذلك بدفع قبائل بني هلال لغزو إفريقية. هزم الامير الزيري المعز، هزيمة كبرى أمام بنو هلال في معركة حيدران سنة 443ه/1052م، و اضطر للإخلاء المنصورية والقيروان واللجوء إلى المهدية. اقتسمت القبائل العربية إفريقية فيما بينها وعمَّ الخراب إفرقية والمدن التي دخلوها. [4] كما توغلت قبائل بنو هلال في منطقة الحضنة و لم يمكن بمقدور الأمير الحمادي مقاومتهم فحاول الاستعانة بهم في حروبه ضد قبائل زناتة. أما خليفته الناصر فحاول استغلال هذه الأوضاع والتوسع شرقا في إفريقية، غير انه مُني بهزيمة قاسية في معركة سبيبة سنة 467ه/1065م التي

---

1 نفسه، مج. 6، ص. 208-209.

2 نفسه، مج 6، ص. 19.

3 حول ظروف و تاريخ هذه القطيعة أنظر.

H. R. Idris, la Berbérie orientale sous les zirides, X-XII siècle, pp. 172-202.

4 ابن خلدون، كتاب العبر، مج. 6، ص. 20-21.

كانت بمثابة بداية النهاية لسلطة بني حمَّاد بالمغرب الأوسط وتيقن الناصر لحقيقة الخطر الذي يمثله بنو هلال على عاصمة ملكه قلعة بني حمَّاد، فشرع في تأسيس عاصمة جديدة تكون في مأن عن خطرهم على غرار المهدية[1]، وهي مدينة بجاية أو الناصرية، وتحت ضغط بنو هلال على منطقة الحضنة والقلعة اضطر خليفته المنصور من نقل عاصمته نهائيا إلى بجاية والاحتماء بها سنة 483ه/1090م[2].

إذا مع نهاية القرن الحادي عشر، أصبحت إفريقية في مجملها في يد قبائل بني هلال و لم يتبق في يد الزيريين سواء بعض المدن الساحلية، أما بنو حمَّاد فلم يتبق تحت سيادتهم سوى مدن التل وتراجع نفوذهم عن منطقة الزاب والحضنة التي تركت لمصيرها لمواجهة توغل قبائل بنو هلال فيها.

IV.النظام الدفاعي بالأوراس خلال العهد الإسلامي

عموما النصوص التاريخية التي تحدثت عن الأوراس ومدنه خلال العصر الوسيط، قليلة والمعلومات التي وردت فيها مختصرة أو غير دقيقة. أهم هذه النصوص، إلى جانب نصوص المؤرخين امثال ابن عبد الحكم وابن خلدون، نجد كتابات الرحالة وبشكل خاص ابن حوقل، البكري والادريسي، التي ورد فيها ذكر مدن الأوراس و قراه الواقعة على الطرق التي كانت تربط مدينة القيروان بمختلف مدن المغربين الأوسط والأقصى، وهي غنية بالمعلومات عن تلك المدن وتاريخها، وعن عمرانها، وسكانها، ونشاطاتهم و عن الأمور الغريبة التي تميزها (مخطط رقم 02).

1 H. R. Idris, op.cit, p. 268.

2 L. Golvin, op.cit, p. 124.

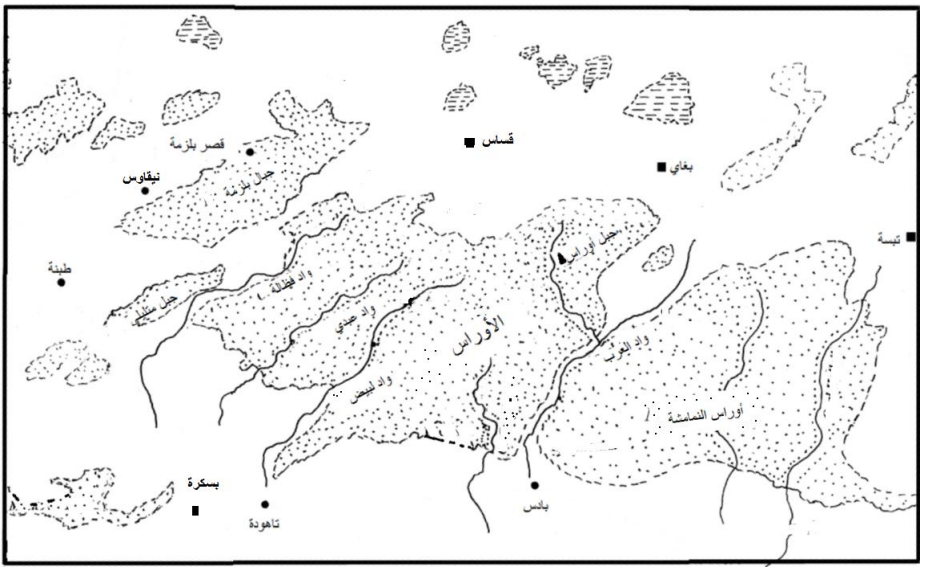

مخطط رقم 02 : أهم التحصينات حول جبال الأوراس خلال العهد الإسلامي

(عن إ. موديرون، بتصرف)

أشار ابن حوقل (920-988م) في كتابه صورة الأرض، إلى الطرق التي كانت تربط إفريقية بمنطقة الزاب. الطريق الاول يمر شمال الأوراس حيث ينطلق من مدينة القيروان مرورا بمدينة مرمجانة بإفريقية إلى مدينة مجانة ومنها إلى قرية مسكيانة، ثم باغاية ومنها الى بلزمة، ثم نقاوس ليصل إلى مدينة طبنة (خريطة رقم 02).[1] وفي موضع أخر يشير إلى طريق ثاني يؤدي الى طبنة غير أنه يمر إلى الجنوب من الطريق الأول ويتفرع منه عند مدينة باغية ومنها إلى دوفانة ثم دار ملول ليصل إلى مدينة طبنة. كما يشير الى طريق ثالث يمر جنوب الأوراس يؤدي من مدينة المسيلة إلى إفريقية، مرورا بمدينة مقرة، ثم طبنة، فبسكرة، ثم تهودا إلى بادس، و منها إلى تامديت، فمدالة ومنها إلى نفطة.[2]

1 ابن حوقل (ابي القاسم)، صورة الأرض، ص 84-85.

2 نفسه، ص 87.

أما البكري (1014-1094م) الذي عاش قرابة قرن بعد ابن حوقل، فيشير إلى طريق كان يربط أيضا القيروان بطبنة، وهو نفس الطريق الذي ذكره ابن حوقل مع ذكر بعض المدن التي لم يشير إليها هذا الأخير. فهذا الطريق يمر عبر مدينة مجانة إلى تبسة ومنها الى قرية مسكيانة ثم باغاية، ومنها إلى مدينة قساس، ثم بلزمة مرورا بقبر مدغوس، فمدينة اللوز، ومنها إلى نقاوس وأخيرا مدينة طبنة.[1] وفي موضع أخر عند حديثه عن الطريق الذي يربط وهران بإفريقية، يشير إلى طريق جنوب الأوراس يمر عبر مدينة طبنة، بسكرة، تهودة،[2] ثم مدينة بادس، ومنها إلى مدينة قيطون بياضة وعندها يفترق الطريق إلى بلاد السودان وبلاد طرابلس وإلى القيروان.[3]

أما الأدريسي الذي عاش خلال القرن الثاني عشر (1099-1165)، فقد أشار إلى نفس المواقع تقريبا أي طبنة، دار ملول، نقاوس، قصر بلزمة، حصن بشر، مجانة، باغاية وبادس، وأهم ما يفهم من وصفه أن هذه المدن لم تعد على سابق عهدها، فقد أصبحت تحت رحمة القبائل العربية.[4] و فيما يلي نتطرق إلى المدن المشار إليها اعلاه حسب المعطيات التاريخية و الآثرية.

V . التحصينات على السفح الشمالي للأوراس

يبدو من النصوص السابقة الذكر أن بعض المدن والقلاع البيزنطية الواقعة على السفح الشمالي لجبال الأوراس فقدت اهميتها العسكرية والاستراتيجية في العهد الإسلامي، حيث لم يرد ذكر مدن خنشلة، تيمقاد، لمباز و زانة في النصوص التاريخية بعد القرن الثامن، أما مدينة تبسة التي تعد من أهم المدن المحصنة في

1 البكري (أبي عبيد)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، ص 50.

2 نفسه، ص 72.

3 نفسه، ص، 74.

4 الأدريسي (الشريف)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مج. 1، ص. 254-295.

العهد البيزنطي، فلم يرد ذكرها إلا بداية من القرن العاشر في العهد الفاطمي حيث استرجعت شيئا من أهميتها. في نفس الوقت نلاحظ أن مدينة بغاي المحصنة أهم مدينة على السفح الشمالي لجبال الأوراس وبدرجة أقل مدينة قساس. ويبدو ان اختفاء بقية المدن والحصون التي كانت تراقب السفوح الشمالية للأوراس خلال العهد البيزنطي، قد فقدت سبب وجودها، فأهالي الأوراس لم يعودوا يشكلون خطرا على سهول نوميديا، وأصبح دور مدن بغاي، قساس وتبسة هو حماية الطريق نحو مدينة القيروان من أي هجوم قادم من المغرب الأوسط. وكانت أهم المواقع المحصنة على السفح الشمالي للأوراس خلال القرون الأربعة من العهد الإسلامي تتمثل في المدن التالية.

1. تبسة

يبقى تاريخ المدينة غامض خلال القرون الثلاثة الأولى الهجرية، فلم يرد ذكرها في المصادر العربية قبل القرن العاشر الميلادي، ويُعد المقدسي أول من ذكرها.[1] من الواضح أنها فقدت أهميتها كنقطة اتصال بين إفريقية والزاب لصالح مدينة باغاية خلال عهد الاغالبة، لتظهر من جديد خلال الفترة الفاطمية حيث كانت بها حامية عسكرية كما يفهم ذلك من كلام ابن خلدون عندما يقول بأن ابي يزيد مخلد تمكن من احتلالها وتدمير جزء من اسوارها.[2] ويبدو ان المدينة عرفت نوع من الآزدهار خلال القرن الحادي عشر حيث يقول عنها البكري"مدينة تبسا مدينة كبيرة كثيرة الفواكه اولية مبنية بالصخر الجليل خرب بعض سورها ابو يزيد مخلد بن كيداد "[3]. أما صاحب كتاب الأستبصار فقد اشار الى العديد

1 المقدسي (عبد الله محمد)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص. 227.

2 عبد الرحمان ابن خلدون، جزء 3، 203.

3 البكري، ص 145.

من اثار المدينة القديمة.[1] أما في الوقت الراهن فإن مجمل اُثار المدينة هي اساسا اثار المدينة الرومانية والقلعة البيزنطية وليست هناك اثار تذكر عن الفترة الإسلامية.[2]

2. بغاي (صورة رقم 01)

صورة رقم 01 : صورة من الساتل لموقع بغاي
(Google Earth)

أكتسبت مدينة بغاي أهمية كبرى في العصر الإسلامي وأصبحت أهم مدن الأوراس بعد مدينة طبنة، بفضل موقعها الاستراتيجي، فهي تتحكم في الطريق الذي يصل الصحراء بالتل عن طريق ممر واد العرب، كما تتحكم في الطريق الرابط بين القيروان و طبنة. و يفهم من وصف ابن حوقل ان المدينة كانت مزدهرة خلال القرن العاشر حيث يقول عنها "مدينة باغاي وهي كبيرة عليها سور أزلي من الحجارة، و لها ربض عليه سور...".[3] تدهورت أحوال المدينة

1 كتاب الاسبصار، ص 162-163.

2 St. Gsell, Atlas archéologique de l'Algérie, T. I et II, 2em édition, f° 29, n° 101.

3 ابن حوقل، ص. 84.

خلال القرن الثاني عشر كما يفهم من قول الأدريسي " فأما مدينة باغاي فمدينة كبيرة عليها سوران من حجر وربض عليه سور وكانت الأسواق فيه واما الآن فالأسواق في المدينة والأرباض خالية فإفساد العرب لها ".[1] من الناحية الآثرية قام السيد شارل ديل بأعمال صبر سنة 1883 سمحت له بإنجاز مخطط المدينة (صورة رقم 01) ولبعض البقايا الآثرية التي كانت قائمة في ذلك الوقت، غير انه لم يكشف على أية بقية أثرية إسلامية تذكر. والمدينة في الوقت الراهن لا تزال بكاملها مطمورة تحت الأرض تنتظر القيام بحفريات جدية للكشف عن اسرارها.

3 . قساس (صورة رقم 02)

يُعد البكري الجغرافي العربي الوحيد الذي أشار إلى هذه المدينة بقوله "...مدينة قساس وهي مدينة قديمة على نهر وفي غربيها جبل شامخ ومنها إلى قبر مدغوس..."،[2] يفهم من هذا النص ان المدينة كانت مأهولة على الأقل إلى غاية القرن الحادي عشر، لتختفي بعد ذلك تماما من نصوص الرحالة أو المؤرخين.

1 الآدريسي، ص 276

2 البكري، نفسه، ص.50.

صورة رقم 02 : صورة من الساتل لموقع قساس
(Google Earth)

تقع مدينة قساس حوالي 30 كم شمال مدينة تيمقاد، عند سفح جبل لبيض، ومن المحتمل ان بناءها بدأ في العهد الروماني واكتمل في العهد البزنطي. كانت تحمي ممر شمورة الذي يسمح بالتنقل من سهول تيمقاد إلى سهول زانة وقسنطينة.[1] تبدو آثار قساس بشكل قلعة على شكل حصن متعدد الأضلاع،[2] يبلغ سمك اسوارها حوالي 2.20 م مكونة من جدارين، مبنية بحجارة مصقولة أو بحجارة الدبش والفراغ بينهما مملؤ بشتى المواد. لها 11 برجا دائريا وبوابة محصنة بالجهة الشمالية واخرى بالجهة الجنوبية، و الأرضية مغاطاة بالكثير من البقايا الآثرية القديمة المكسورة منها قطع من مطاحن، أعمدة مكسورة، كتابات لاتينية ومسيحية، ولكن لا وجود لأي أثار للوجود الإسلامي.

1 St. Gsell, Atlas, f° 27, n° 293.

2 Cdt Lambert, « Notices sur les ruines de Guessès », Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de Constantine, 1922-1923, pp. 243-251.

VII . التحصينات على الحدود الغربية للأوراس

1 . قصر بلزمة (صورة رقم 03)

صورة رقم 03 : صورة من الساتل لموقع قصر بلزمة
(Google Earth)

وهي في الأصل قلعة بيزنطية تقع في سهل وتتحكم في العديد من الطرق التي تربط التل بمنطقة الحضنة،[1] وتعد ضمن القلاع المتقدمة التي شيدها البيزنطيون لحماية نوميديا.[2] و إن كنا لا نعرف تاريخ دخولها تحت سيادة المسلمين، فقد اكتسبت أهمية كبرى في المنظومة الدفاعية لمنطقة الزاب في عهد الأغالبة، و كانت مقرا لحامية مهمة من الجند من عرب بنو تميم الذين تعاظم دورهم ولعبوا دورا في الاضطرابات الساسية التي شهدتها إفريقية، وهو السبب الذي ادى بالأمير الأغلبي أبو الغرانيق إلى استدعاء قواد الحامية الى القيروان

1 Ch. Diehl, l'Afrique byzantine, p. 252.
2 Id, p. 223.

وتقتيلهم سنة 280ه/893م.[1] و كان هذا سببا في إضعافها و لم تستطع مقاومة عبد الله الشيعي سنة 907 ه، بعدما تمكن من احتلال مدينة طبنة وعزلها عن بقية حصون منطقة الزاب، وقام بتقتيل سكانها وتدمير اسوارها. [2] استرجعت المدينة ازدهارها في عهد الفاطميين و اعيد بناء اسوارها من الطابية كما يمكن يفهم ذلك من حديث ابن حوقل حيث يقول" ومدينة بلزمة حصن لطيف فيه رجال البلد، وله ماء جار وهو في وسط فحص عليه سور تراب".[3] استمرت في لعب دورا عسكريا مهما في عهد الزيريين ثم في عهد الحمَّاديين، ويبدو ان الحمَّاديين تخلوا عنها تحت ضغط قبائل بنو هلال، حيث يصف الأدريسي سورها بقوله " فإذا نظر الناضر إلى السور من الخارج رأى سورا كاملا وإذا دخل المدينة لم يجد لها سورا لأن أرض الحصن مساو للشرفات وهي مردومة".[4] لتختفي نهائيا من التاريخ بعد ذلك، اما في الوقت الراهن فإن بقايا الحصن تتوسط المدينة الحديثة، وهي مردومة تماما ولا يظهر منها إلا بعض الأجزاء البسيطة من الأسوار.[5]

2 . نقاوس

كانت مدينة نقاوس على الطريق الذي يمر شمال الأوراس مرورا بمدينة قساس وقصر بلزمة إلى مدينة طبنة كما يشير إلى ذالك كل من ابن حوقل والبكري. وهي مدينة نيسيفيبوس الرومانية (Nicivibus)، و كانت ضمن المدن المحصنة التي تحمي منطقة الحضنة، وأول من أشار لها كان اليعقوبي خلال القرن

1 M. Talbi, op.cit, p. 291.
2 Id, p. 662.
3 ابن حوقل، ص. 92-93.
4 الأدريسي، ص. 270.
5 St. Gsell, Atlas, f° 27, n° 89.

التاسع وإن لم يشير إلى تحصينات المدينة، فهو يقول أنها كانت مأهولة بالجند مما يعني أنها كانت مدينة محصنة،[1] أما ابن حوقل فيصف المدينة بقوله " ومدينة نقاوس مدينة كبيرة عليها سور من حجارة قديمة أزلية "[2] وقد ارتبط مصيرها بمصير مدينة طبنة وعرفت ازدهارا في عهد الأغالبة، ثم انتقلت سيادتها إلى بني زيري الى غاية سنة 1017م حيث منحها الأمير الزيري المعز للأمير الحمادي القائم. غير انها تعرضت للغزو و تدمير اسوارها من طرف الأمير الزيري المعز سنة 1040-1041م في طريقه لحصار القلعة، وأعاد الأمير الحمادي الناصر بناء أسوارها سنة 1062م، وبقيت تابعة للقلعة ثم إلى بجاية.

و مع توغل قبائل بنو هلال في أراضي بني حمَّاد، اصبحت المدينة معزولة عن بقية مدن المملكة مما أدى تدهور احوالها، حيث يصفها الأدريسي خلال القرن الثاني عشر بأنها مدينة صغيرة.[3] وخلال الحقبة الاستعمارية فإن الأطلال الآثرية التي كانت لا تزال قائمة، استعملت في بناء المدينة الحديثة مما أدى إلى اندثار أطلالها بكاملها تحت المدينة الاستعمارية.

3 .طبنة (شكل رقم 01)

وتعد أهم مدن منطقة الزاب على الإطلاق ومفتاح النظام الدفاعي على الحدود الغربية لإمارة الأغالبة، وصفها ابن حوقل في القرن العاشر بقوله "... طبنة مدينة قديمة وكانت عضيمة كبيرة البساتين والزرع والقطن والحنطة والشعير، ولها سور من طابية مرحلة،..."[4] و يفهم من هذا الكلام ان المدينة كانت في الماضي اعظم مما هي عليه في وقته. غير أن أهم من كتب عنها هو البكري الذي

1 اليعقوبي (احمد بن ابي يعقوب)، كتاب البلدان، ص. 130.

2 ابن حوقل، ص. 92.

3 الأدريسي، ص. 264.

4 ابن حوقل ، ص 85.

أورد الكثير من التفاصيل حول تاريخ المدينة، وسكانها، وسورها وأبوابها وأسواقها حيث يقول عنها " طبنة وهي مدينة كبيرة سورها مبنى بالطوب وبها قصر وارباض وداخل القصر جامع وصهريج كبير... وقصر طبنة قديم اولي كبير جليل مبنى بالصخر عليه ازاج كثيرة ينزله العمّال وهو ملاصق لسور المدينة ... وخارج المدينة بازاء باب الفتح سور مضروب على فحص فسيح يكون مقدار ثلثي مدينة طبنة ".[1]

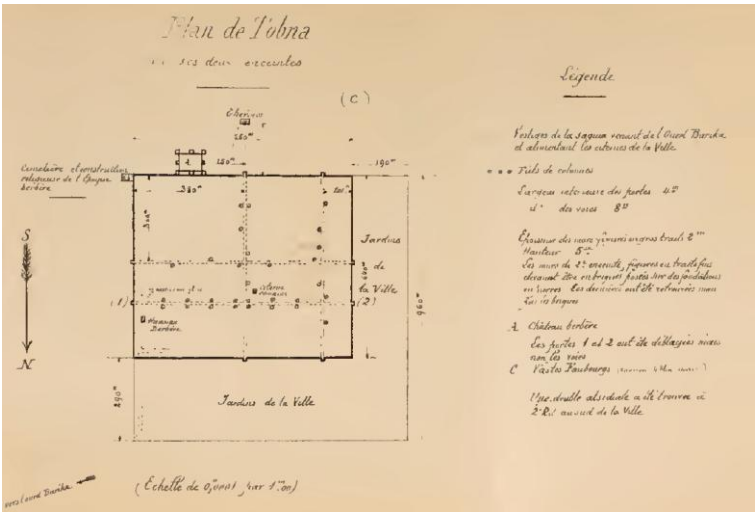

شكل رقم 01 : مخطط لمدينة طبنة (R. Grange)

كانت مدينة طبنة مدينة الزاب الكبرى كما تشير إلى ذلك جميع المصادر التاريخية، ويرجع الفضل في ذلك إلى موقعها الاستراتيجي على اقصى الحدود الغربية لأفريقية والقاعدة لصد الأخطار القادمة من المغرب الأوسط منذ عهد الولاية ثم في عهد الأغالبة، لكن مع ظهور الفاطميين وتوسيع حدود الدولة غربا نحو المغرب الأوسط، خاصة بعد بناء مدينة المسيلة ثم مدينة أشير، فقدت طبنة اهميتها العسكرية، غير ان تدهور أوضاعها كان بفعل توغل القبائل

1 البكري ، ص 50.

العربية بداية من النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي في منطقة الحضنة، وبانتقال الحماديين إلى بجاية وهجرهم للقلعة، اصبحت المدينة في عزلة عن التل وتركت لمصيرها فهجرها سكانها و لفها طي النسيان.

في الوقت الراهن تقع أثار المدينة على بعد 4 كم جنوب مدينة بريكة، أجريت بالموقع تنقيبات محدودة قام بها السيد (R. Grange) حيث كشف بعض بوابات وأبراج المدينة، والقلعة البيزنطية والمسجد والمقبرة الإسلامية والحمامات،[1] اما في الوقت الحالي فالموقع مردوم تماما تحت الأرض ولا يظهر من معالمه سوى بعض الأعمدة المكسورة، وصهريج مياه روماني وبعض الحجارة الضخمة من القلعة البيزنطية، غير أن أرضية الموقع تغطيها كميات كبيرة من كسور الفخار في غالبيتها من الفخار الإسلامي الذي كان شائعا في عهد الأغالبة والفطميين والحماديين، وهي الأدلة الوحيدة على التواجد الإسلامي بالمدينة.

يبدو جليا مما سبق، انه خلال القرون الأربعة الأولى للوجود الإسلامي بمنطقة الأوراس، ان المدن والقلاع الواقعة على الحدود الغربية لجبال الأوراس اكتسبت أهمية كبرى، فقد أصبحت خط الدفاع الأول عن الحدود الغربية لإفريقية في وجه الخطر القادم من المغرب الأوسط الذي أصبح تحت سيادة الخوارج وقبائل زناتة الثائرة.

1 R. Grange, « Monographie de Tobna (Tubonis) » Recueil des Notices et Mémoires de la société archéologique du département de Constantine, 1901, pp. 9-96.

VI. التحصينات على السفح الجنوبي للأوراس

1 . بسكرة

تقع هذه المدينة الرومانية (vescera)[1] على الضفة الغربية لواد بسكرة، جنوب الأوراس في منطقة تتحكم في ممر القنطرة الذي يربط الصحراء بسهول باتنة وقسنطينة، لكن يبدو انها فقدت أهميتها عند وصول المسلمين إلى المنطقة، حيث تشير المصادر العربية خلال فترة الفتح إلى مدن تهودة و بادس كأكبر مدن المنطقة. بدأت تكتسي اهمية من جديد في عهد الأغالبة وأصبحت من أهم المدن الواقعة على الطريق الرابط بين القيروان والزاب، كما يشير إلى ذلك مختلف الرحالة العرب حيث يصفها الأدريسي بقوله "...حصن بسكرة مرحلتان وهو حصن منيع في كدية تراب عال وبه اسواق وعمارة"[2]. لم يتبق من اثار المدينة الرومانية والإسلامية شيئا في الوقت الراهن، ما عدا اكتشاف بعض البقايا الآثرية التي ترجع إلى الحقبة الرومانية من حين إلى أخر.

2. تهودة (صورة رقم 04)

كانت تهودة من أهم مدن المنطقة عند قدوم الجيوش الإسلامية، وبالقرب منها استشهد الفاتح عقبة بن نافع سنة 63 ه / 683 م. تقع هذه المدينة حولي 4 كم شمال واحة سيدي عقبة، وعلى مسافة مرحلة من بسكرة في الغرب ونفس المسافة على مدينة بادس في الشرق.[3] وكانت مدينة مزدهرة خلال القرن الحادي عشر الميلادي حيث يقول عنها البكري "مدينة أهلة كثيرة الثمار والنخيل والزرع وتهوذا مدينة أولية بنيانها بالحجر ولها أموال كثيرة وحولها ربض قد خندق على جميعه واستدار بالمدينة وبها جامع جليل ومساجد كثيرة

---

1 St. Gsell, Atlas, f° 48.

2الأدريسي، ص 264،

3 ابن حوقل، ص 87،

وأسواق فنادق..."[1] غير أنها لقيت نفس مصير مدن المنطقة الواقعة جنوب الأوراس، بفعل غزو قبائل بنو هلال بداية من نهاية القرن الحادي عشر الميلادي.

صورة رقم 04 : صورة من الساتل لموقع تهودة (Google Earth)

حاليا موقع تهودة يبدو بشكل تل اصطناعي فوقه قرية مبنية بالطوب كما هو شائع في هذه المنطقة الصحراوية، غير ان اساساتها من الحجارة المصقولة[2]، كما ان الحفريات التي تمت بالموقع كشفت على حصن وبناء يعتقد انه حمام،[3] كما ان الاراضي المحيطة بالتل غنية بشقف الفخار القديم و قواعد الأعمدة ولكن ليست هناك بقية أثرية تدل على الوجود الإسلامي بالموقع.

---

1 البكري، ص، 73،

2 J. Barades, Fossatum Africae, Vue aérienne de l'organisation romaine dans le sud algérien, p. 281.

3 Capitaine J-L. Touchard, « Notes sur les fouilles faites à Téhouda » Recueil des Notices et Mémoires de la Société archéologique et historique de Constantine, n° 35, 1901, p. 154.

3 . بادس

و هي مدينة (Ad-Badias) القديمة والتي كانت مع مدينة تهودة تتحكم في مضائق اودية الأوراس التي تفتح على الصحراء، وبشكل خاص واد العرب،[1] واصبحت من اهم المدن على الطريق الرابط بين طبنة القيروان. ارتبط مصيرها ارتباط وثيقا بمدن الزاب الأخرى، وتمتعت بنوع من الازدهار كما يفهم ذلك من حديث البكري "ومدينة باديس حصنان لهما جامع واسواق وبساط ومزارع جليلة يزرعون بها الشعير مرتين في العام على مياه سايحة كثيرة عندهم"،[2] غير أنها أصبحت خلال القرن الثاني عشر الميلادي تحت رحمة قبائل بنو هلال كما يشير إلى ذلك الأدريسي بقوله "ومنه إلى حصن **بادس** وهو في أسفل طرف جبل أوراس ثلاث مراحل وهو حسن عامر بأهله والعرب تملك أرضه وتمنع أهله من الخروج عنه إلا بخفارة رجل منهم".[3] في الوقت الحاضر هناك قرية بنيت فوق الموقع الآثري[4]، وبالتالي لا يمكن رؤية الحصنين الذين أشار لهما البكري.

يتضح مما سبق ان المدن المحصنة التي كانت تراقب الممرات الجنوبية لجبال الأوراس وبشكل خاص مدينتي تهودة وبادس، قد فقدت اهميتها العسكرية في العهد الإسلامي وإن بقيت تحتل مكانة مهمة كمراكز تجارية على الطريق الرابط بين طبنة والقيروان المار جنوب الأوراس، وفي نفس الوقت نلاحظ ازدياد اهمية مدينة بسكرة بداية من عهد الفاطميين لتصبح أهم مدينة بجنوب الأوراس إلى يومنا هذا.

---

1 Cf. J. Barades, op.cit, p. 282.

2 البكري، ص، 74،

3 الأدريسي، ص 264.

4 St. Gsell, Atlas, f°49, n° 51.

البيبليوغرافيا باللغة العربية

ابن الآثير (ابي الحسن)، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

ابن حوقل (ابي القاسم)، صورة الأرض، بيروت، مكتبة دار الحياة، 1992.

ابن خلدون (عبد الرحمان)، كتاب العبر، مج 4، 6 و 7، دار الفكر، بيروت، 2000.

ابن عبد الحكم (عبد الرحمان)، فتوح إفريقية و الأندلس، تحقيق و تعليق عبد الله انيس الطباع، بيروت، 1964.

ابن عذارى (ابو العباس)، البيان المغرب في اخبار الأندلس و المغرب، نشره إ. ليفي بروفنسال و ج. س. كولان، الطبعة الثانية، بيروت، 1980.

أبو بكر المالكي، كتاب رياض النفوس، بيروت، 1983.

الأدريسي (الشريف)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.

البكري (أبي عبيد)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، جزء من كتاب المسالك و الممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية و المغرب، تحقيق و تقديم المنجي الكعبي، تونس، 1968.

سليم دريسي، البيزنطيون في شمال إفريقيا : الاحتلال و العمارة الدفاعية، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008.

عبد الحميد زوزو، ثورة الأوراس سنة 1879، الجزائر، 1986.

عبد العزيز فيلالي، المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب و الأندلس، دار المعارف للنشر، سوسة– تونس، 1991.

كتاب الاستبصار، نشر و تعليق الدكتور سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

المقدسي (شمس الدين ابي عبد الله محمد)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1906.

النويري (شهاب الدين)، نهاية الآدب في فنون الآدب، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.

اليعقوبي (احمد بن ابي يعقوب)، كتاب البلدان، ليدن، 1860.

البيبليوغرافيا باللغات الأجنبية:

J.-L. Ballais, « l'Aurès », Encyclopédie Berbère, 1985, t. 7, pp. 1066-1095.

J. Barades, Fossatum Africae, vue aérienne de l'organisation romaine dans le sud algérien, Paris, 1994.

P. Blanchet, « Excursion archéologique dans le Hodna et le Sahara » R.S.A.C, 1899.

R. Cagnat, L''armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Paris, 1913.

P.-L.. Cambuzat, L'évolution des cités du tell en Ifrikya du VII au XI siècle, t. 1 & 2, Alger, 1986.

Ch. Diehl, L'Afrique byzantine, histoire de la domination byzantine en Afrique (538-709), Ernest Leroux, Paris, 1896.

Ch. Diehl,« Rapport sur deux missions dans l'Afrique du Nord (avril-juin 1892 et mars-mai 1893) », Nouv Arch des miss, 4, 1893.

R. Grange, « Monographie de Tobna (Tubonis) », Recueil des Notices et Mémoires de la société archéologique du département de Constantine, 1901.

St. Gsell, H. Graillot, « Exploration archéologiques dans le département de Constantine », M.E.F.R.A ,t.XIV, 1894.

St. Gsell, Atlas archéologique de l'Algérie, Paris-Alger, 1911.

P. A. Guichard, Djerrab. A, « La ville disparue de Majjana et la montagne des meules », Aours, N° 6, 2006.

Y.-R. Hadji, « Thouda, aperçu archéologique », Aouras, n° 3, 2006.

H.-R. Idris, la Berbérie orientale sous les zirides, X-XII siècle, Paris, 1962.

A. Khelifa, « Les Aurès au moment de la conquête musulmane », Aouras, n°3, 2006.

L. Golvin, L. Le Maghrib central à l'époque des Zirides, recherches d'archéologie et d'histoire, Arts et Métiers graphiques, Paris, 1966.

Cdt. Lambert, « Notices sur les ruines de Guessès », Recueil des Notices et Mémoires de la société archéologique de Constantine, 1922-1923.

G. Marçais, « Le tombeau de Sidi Uqba », Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'Occident musulman, Alger, t. I, 1957.

G. Marçais, E. Levi-Provençal, « Notes sur un poids de verre du VIII siècle », A.I.E.O, Alger, t. III, 1937.

E. Masqueray, De Aurasio monte. Paris 1886.
P. Morisot, «L'Aurès dans l'antiquité : L'époque byzantine (533-647) » Encyclopédie Berbère, t. 8, 1990.
P. Morizot, « A propos des limites méridionales de la Numidie byzantine » Ant. Afr, t. 35, 1999.
D. Pringle, The defence of Byzantine Africa from Justinian to the Arab conquest. The account of the african provinces in the sixth and seventh centuries, Part I -II, B.A.R, Oxford, 1981.
W. Ragot, « Le sahara de la province de Constantine », R.S.A.C, t.16, 1873-1874.
Med. Talbi, L'Emirat aghlabide, histoire politique, Paris, 1968.
Capitaine J.-L Touchard, , « Notes sur les fouilles faites à Téhouda » Recueil des Notices et Mémoires de la Société archéologique du département de Constantine, n° 35, 1901.
Cdt. Toussaint, « Résumé des reconnaissances archéologiques exécutées par les officiers brigades topographiques d'Algérie et de Tunisie pendant la compagne 1903-1904 » B.A.C, 1905.
P. Trousset, « Les limites Sud de la réoccupation byzantine » Ant. Tard, 10, 2002.